

التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة

@ 245 @ نفسه حينئذ وكأنه أضر في آخر عمره وشاخ ونزل عنها لولده أبي غانم منصور وكان ما سيأتي في ترجمته وأقام جمار بداره التي بناها في عرصة السوق المعروفة بدار خزيمة حتى مات في صفر أربع وسبعمئة وكان قد بنى قلعة ليتحصن فيها ويكشف منها ضواحي المدينة قال ابن فرحون وهو أول من أدركته من أمراء المدينة وكان شجاعا مهيبا سائسا حازما ذا رأي صليب وهمة عليه ترقى همته إلى أن قصد صاحب مكة وهو الأمير نجم الدين أبو ندى محمد ابن صاحبها أبي سعد بن علي بن قتادة الحسني وحاصره وانتزع منه مكة فاستولى عليها وحكم فيها وأقام بها يسيرا ثم عادت إلى أبي ندى وذلك في سنة سبع وثمانين وستمئة وكان والده الأمير شحنة متوليا المدينة انتزعها من الجمامزة في سنة أربع وعشرين وستمئة كما سيأتي في ترجمته وذكره المجد فقال كان بطلا باسلا وعمليا منازلا ومهيبا سائسا وقلبا حمارسا وفتاكا صرمرما وسفاكا غشمشما وقرما هاما وعبقريا قمقاما ترقى به همته إلى أن قصد مكة في صكة عمى وأراد انتزاعها من يد الأمير نجم الدين أبي ندى فهجم على مكة هجوم الطيف وافتض عذرتها بحد السيف وذلك أنه بات ليلي على بابها مخيما وعلى إخراجها منها عازما مصمما فحاصرهم وقتلهم ودافعهم ونازلهم إلى أن دب إليها واستولى عليها وخرج الأمير ندى منها وصدق عزم جمار مكة ولم يمتها واستقر بها مدة حاكما وصار الخمول متكامنا والسعد متراكما ثم رد الله تعالى مكة إلى أبي ندى وجمع الزمان بين غيلان ومي وعاد جمار إلى محل ولايته باسطا على المدينة ظل رايته وكانت ولايته وراثته عن والده ومنه كان تهيأ تناول مقالده ولكن لم تصف له إلا بعد هزاهز ومنازعات بينه وبين مالك وعيسى وغيرهما من ذوي قرابتهم الجمامز كما ذكرناه في ترجمة شحنة مطولا وبيناه مجملا ومفصلا وكان جمار ذا رأي سديد وقلب مجيد وجأش جليلد وسماح على ذوي قرابته عظيم وعطاء إلى بني عمه عميم ولم يزل يبرهم بالإنعام الجزيل ويغمرهم بالنوال الحفيل إلى أن استمال قلوبهم وملك بجوده غالبهم ومغلوبهم وكان أولاده أحد عشر ولدا كأنهم أسود منهم منصور وسند ومقبل وودي وقاسم وجوشن وراجح ومبارك وثابت ومسعود وكان له من الأخوة ثمانية يحطمون ببأسهم المحاطم الأسود منهم منيف وعيسى وأبو رديني جد الردينية ومحمد جد الفواطم ولم يزل جمار مستقلا في ولايته إلى رأس السبعمئة فلما وجد شمس الشباب قد غربت في عين حمئة وارتفع السن وتقعقع الشن وخان البصر وماتت القوى والقدر نزل عن المنصب لأبر أولاده منصور وفوض إليه أمر الإمارة بحضور الجمهور وحالف الناس على معاملته بالطاعة والنصرة والوفاء وأمر أن يخطب له حضرته على منبر هذا النبي المصطفى وقال شيخنا في درره وليها قديما بعد قتل أبيه وقدم

مصر سنة اثنتين وتسعين فأكرمه الأشرف خليل وعظمه وبشفاعته أفرج عن أمير الينبع ورضي